فى المدح مع شكر من يظن به خيراً . وقال احسن الكلام ما كان صادقاً مطابقاً للواقع وانما يذهب مذاهب المبالغة فى قوله من كان مجازفاً فى رأيه وان كان العلماء توسعوا فى التسامح بالمبالغة والتشبيهات والاستعارات ولم يعدوها من الكذب وسنذكر ما علق بالذهن من خطابه فى الجزء الآتى

الاحتفال الثانى

﴿ خط الحديد الحجازى ﴾

حيا الله الذات السلطانية الحميدية وبياها . وأمدها بالعناية والتوفيق وقواها . فقد اصدرت ارادتها السنية . بالتبرع بخمسين الف ليرا عثمانية . عائدةً لهذا الخط الشريف . الذى هو افضل آثارها من تلاد وطريف . وتعلقت الارادة الشريفة ايضاً بانجاز هذا العمل الميمون . فى مدة لا تزيد على اربع سنين . وكنا ذكرنا انه تقرر ان تكون جميع الأدوات واللوازم فيه اسلامية عثمانية ولكن تبين ان معامل ادارة البحر فى الاستانة لا تقدر ان تصنع اكثر من ٢٥٠ متر من الخطوط فى اليوم (اى ١٥٠ متر من هذه الخطوط) وذلك يقتضى ان تزيد المدة على اربع سنين كما ان النفقة تكون اكثر من نفقة ابتياعها من اوربا لان المعامل المذكورة غير مستعدة تمام الاستعداد ويعوزها لهذا انشاء معمل جديد ولذلك تقرر اخيراً ان تبتاع من اوربا . وتهتم اللجنة العليا التى يرأسها مولانا السلطان الاعظم بكليات هذا العمل وجزئياته واصوله وفروعه فبلغت السر عسكرية بأن ترسل الى سوريا الجنود العاملين به وبلغت نظارة الغابات والمراج بارسال الاخشاب اللازمة

من غابات قره بيجه ومنتشا . وسترسل القضبان الحديدية الموجودة فى مستودعات البحرية عاجلا وطول الخط ٩٠٠ كيلومتر

(اعانة المسلمين للعمل) تتوجه رغبات المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها لهذه الاعانة الشريفة لأنها تتعلق باقامة ركن من اهم اركان دينهم وقد باشروا بهذا فعلاً وذكرت لنا جرائد بيروت انه قد تألفت لجنة فيها من الاعيان برئاسة عطوفة واليها الهمام لاجل الاكتتاب فجمع فى مدة قريبة مبلغ ٢١٢٣٥٠ غرشاً

فنستنهض الآن همة المصريين العالية . ونستفيض ههنا مكارم اسخيائهم الهامية . ونرغب الى جميع الجرائد الوطنية . ونخص بالذكر الاسلامية . بأن يوالوا الحث والتحضيض . ويداوموا الترغيب والتحريض . على مسارعة اهل هذا القطر . ومسابقة اخوانهم فى هذا الامر . ولا نلبث ان نسمع اخبار الاقطار النائية . والبلاد القاصية . يتنافسون فى اعانة هذا المشروع العظيم والله ولى المحسنين .

(وفاة الامير العاقل) نعت الينا اخبار الحجاز رجل الشهامة والفضل والسخاء والنبل كبير امراء عكار محمد باشا المحمد المعدود من افراد الرجال فى لوآء طرابلس الشام فى السياسة والرياسة وعمل البر والاحسان واكبر مآثره المدرسة الاسلامية التى انشأها فى قرية مشحا وصدرت الارادة السلطانية بان تسمى المدرسة الحميدية واهداها مولانا السلطان الاعظم مكتبة نفيسة ارسلها بخزاناتها من دار السعادة وانعم على الفقيد يومئذ برتبة مير ميران وبالمداليا الذهبية والفضية وكان رحمه الله حسن المحاضرة واسع الاطلاع فى التاريخ والأدب حتى كان يمتاز على مجالسيه فى كل ناد وسامر وينفرد عن كل من نعرف بالاحاطة باحوال قبائل العرب لهذا العهد . توفاه الله فى المدينة المنورة بعد أداء فريضة الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فنعزى انجاله الكرام واسرته وسائر اهل الفضل به

(ازالة وهم) فهم بعض الناس ان انتقادنا على الذين طعنوا فى الديانة النصرانية عند الرد على هانوتو (فى ص ٢٥٣ من الجزء الماضى) يوهم ان صاحب جريدة المؤيد منهم لان الانتقاد جاء بعد ذكر مناقشته مع الاهرام واننا نبرئ المؤيد وصاحبه الفاضل من ذلك ونعترف بانه أبعد الناس عن الطعن فى الاديان وجرح احساس اصحابها

ارجأنا مسئلة حل طعام اهل الكتاب للجزء الآتي لضيق المقام

﴿ قليل من الحقائق ﴾

(عن تركيا فى عهد جلالة السلطان عبد الحميد الثانى)

«الارمن وفتنهم — تابع ما قبله وهو ختام الرساله »

فلو ان تذاكر الجواز الامريكية كانت تتضمن مثل هذا الشرط المبنى على الحكمة والسداد لبادر الارمن الى ترك التجنس بالجنسية الامريكية تركاً تاماً لانهم انما يلجأون اليه لتكون حكومة الولايات المتحدة مجناً لهم يقلبونه فى وجه الحكومة العثمانية ولكان فى ذلك الترك راحة عظمى لنظارة الخارجية فى واشنطون . ان تجنس الارمن يكاد يكون دائماً مبيناً على نية سيئة وانما يقصد به استخدام الحكومة الامريكية لايصال الضرر بتركيا متى كان ذلك فى الامكان يتبين ذلك من جملة اقتبسناها من تقرير رسمى كتبه فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٩٣ المستر اسكندر تريل اسقف الولايات المتحدة الحالى فى القسطنطينية وهو معروف بكفاءته وسعة علمه قال :

« ان المهاجرين الاوربيين فى الولايات المتحدة يتجنسون بالجنسية الامريكية عن قصد حسن فى الجملة واما المهاجرون الاسيويون فحسن النية فيهم نادر جداً وانى فى مكان اعرف فيه ان رجوع الارمنى الى بلاده بعد تجنسه على نية البقاء فيها هو القاعدة التى لايخالفها الا شذوذاً »

تلك شهادة جاءت من قبل رئيس المبعوثين الامريكيين الذين عالجوا ثوار الارمن فى جميع الامور ويحرضونهم على تركيا وهذه الشهادة مبنية على التقارير التى رفعها لوكلاء الدول من عهد غير بعيد لجنة التحقيق الامريكية التي عوضاً عن ان تنصح للأرمن ان يكونوا من رعايا السلطان المطيعين وان يلتزموا السكوت الذى يستلزمه الشرف والوقار حتى تعلم نتيجة تحقيق المشاغب التى حصلت فى ساسون كانت ترى ان من اهم واجباتها ان تثبت وقوع مذابح لم تكترث بها الحكومة العثمانية على انها كان يجب عليها ان تعلم ان هذه الحكومة لم تساعد على وقوع اية مذبحة كانت وان نفس وجود البعثات والمدارس الامريكية فى تركيا وكون غرضها الاصلي نشر المذهب البروتستانتى بين الارمن وحملهم على الأخذ به مما يثبت بلاشك ان اوضاع الترك ونظاماتهم مبنية على التسامح والتساهل فاذا استمر المبعوثون الامريكيون على مالأة الارمن المتذمرين فى تركيا كانت سياستهم هذه مخالفة لارادة الحكومة الامريكية وشعبها فان تركيا على اي حال يجب ان تحافظ على السكينة والامن فى بلادها مهما كلفها ذلك ولا يمكن ان تتغاضى عن الدسائس الاجنبية التى يحاول المفسدون بثها فى ارجائها وهي محقة اذا ثار غضبها لقراءة مثل هذه الجملة التى كتبها احد الأرمن عن اشتراك الامريكيين فى حوادث بلغاريا التى حصلت سنة ١٨٧٥ ضمن رسالة بعث بها للجريدة المسماة « منادي يوستون » وهي :

« قد علمت من زمن غير بعيد ان القسيس المحترم سيروس هملن كان يكتب مكاتيب ودّ وتشجيع للجمعيات المختلفة التي كانت تعقد فى هذه البلاد (تركيا) تعضيداً لمقاصد الأرمن وعباراتها صريحة فى الدلالة على انتصاره

لدعوتهم وقد سمعته يخطب من بضع سنين مضت فى امهارست التابعة لماس (بامريكا) ولشد ما كان يفتخر فى خطبته هذه على سامعيه باهمية العمل الذى قام به البلغاريون المتخرجون من كلية روبرت وهو حصولهم على حرية وطنهم واستقلاله وانا أسأل هذا القسيس المحترم عما اذا لم يكن عالماً بوجود شركات عقدت للحث على حب الوطن والدفاع عنه بين اولئك الطلبة البلغاريين الخ . . .

لقد صدق الفرنساويون اذ يقولون فى امثالهم لا ينشك الا اصدقاؤك فليعلم المبعوثون الامريكيون ومجلس ادارتهم انه ليس من الواجب عليهم ولا مما هم منوطون به ان يساعدوا اى صنف من الناس فى تركيا على نوال « حريته واستقلاله » ولا ان يمالئوا الجمعيات السرية فيها ولا ان يتهموا الحكومة العثمانية امام العالم بالمذابح التى لم توجد ولا يمكن ان توجد فى الحقيقة والواقع وانما الواجب الذى ينبغى عليهم مراعاته هو امر هين بسيط ينحصر فى رعايتهم قوانين البلاد التى اكرمت مثواهم رعاية تامة فى افعالهم واقوالهم فانه اذا كان من المستغرب ان اولئك المبعوثين عوضاً ان يخصوا بعنايتهم ونواياهم الحسنة هنود امريكا وزنوجها اختاروا الذهاب الى تركيا لتربية الأرمن على طريقة مخصوصة وحملهم على التدين بالمذهب البروتستانتى ما امكنهم وكان من الحقق ان الباب العالى يأذن لهم بممارسة عملهم طبية بذلك نفسه بفضل تعاليم دينه السائد التى تحث على التسامح والتساهل فلم يكن احد ممن يحبون الانصاف وحرية الضمير ليقدر ان يلوم تركيا على اظهارها الاستياء مما يقوله هؤلاء المبعوثون على رؤوس الاشهاد ويكتبونه من العبارات الدالة على معاداتهم ومباغضتهم لها

والمفضية حتماً الى توسيع خرق الفتنة والمشاغب فى بلادها ولا شك فى ان الولايات المتحدة لا ترضى بهذه المظاهرة العدائية الموجبة لمعاقبة صاحبها اذا حصلت فى بلادها من اى طائفة من المبعوثين جاءت اليها بقصد تربية الهنود مثلاً ونشر دينها بينهم — خصوصاً اذا كان هؤلاء لهم مقاصد ثورية كالارمن المعترفين بذلك فالذى يكون صواباً فى حق الولايات المتحدة لماذا لا يكون كذلك فى حق تركيا ؟ الفتنة الارمنية التى بنيت على اكاذيب ومبالغات وعلى خطة رسمت وصمم عليها من قبل كما بيّن ذلك القسيس المحترم سايروس هملن نفسه واعان الارمن عليها كثير من الناس وساعدوهم على اضرام نارها لمجرد انهم مسيحيون وذلك ما يثبت ان الذى يغرى اعداء تركيا بها هو غلوهم فى الدين لا غيره . ولولا ذلك لما كانت مفتريات ثوار الأرمن الخارجة عن حد العقل وقعت موقع التصديق عند الناس يصفون انفسهم بالنزاهة وعدم التشيع ولما علقت عليها الشروح والتأويلات بدون ان يقوم عليها شيء من البراهين والادلة المقنعة . من اجل ذلك قد علمت تركيا الآن انها لا يمكنها فى الواقع ان تقول على ما يظنون به من النزاهة والعدل وانما يمكنها ان تعتمد على مليكها فهي تفتخر به لتنظيم ماليتها واعلاء شأن جيشها وادخال الاصلاحات النافعة فى كل فرع من فروع ادارتها وتعجب بما يدهشها من صدق عزيمته وسمو مداركه وكرم نفسه وتعلم حق العلم انها ما دامت فى ظل رعايته لا تخاف ضيراً من اعدائها سواء فى ذلك الاباعد والاقارب وانها لما كان اعتقادها فيه مبنياً على حقائق ثابتة كان السلطان عبد الحميد الثانى حقيقة ملكاً عظيم الشان .

انتهت الرسالة والله اعلم